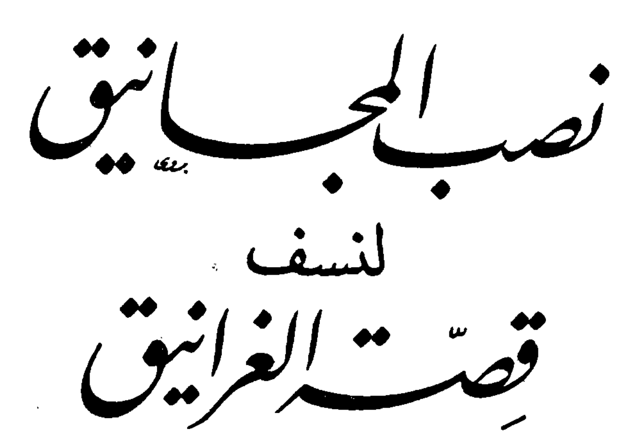



تأليف

محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

المكتب الإسلامي
بيروت : ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيا : إسلاميا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اصطفى نبينا على سائر البشر ، وعصمه من الشيطان أن يوحى اليه بشر ، فقال تعالى مخاطباً ابليس اللعين : ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ) الحجر : ٤٢ بل جعل تعالى له السلطة على شيطانه القرين ، فكيف من كان عنه من المبعدين ؟. كما أشار الى ذلك قول رسوله الكريم ﷺ « مامنكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن » قالوا : واياك يارسول الله ؟. قال : « واياي ، الا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني الا بخير » [1] وصلى الله على محمد الذي مكنه الله تعالى من ابليس حتى كاد أن يخنقه ، وهم أن يربطه بسارية من سواري مسجد المدينة [2] ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين.

وبعد ، فقد كتب الي بتاريخ ١٤/٧/١٩٥٢م بعض الاساتذة من الاخوان الاعزة من الباكستان حيث أوفد اليها لغاية علمية - يسألني عن رأيي في حديث الغرانيق الذي اختلف فيه قول حافظين كبيرين ، هما : ابن كثير الدمشقي ، وابن حجر المصري ، فقد أنكره الاول وقواه الآخر . وطلب مني أن لاأضن بالجواب عليه ، فلبثت بعض الاشهر اترقب فرصة أستطيع فيها إجابة طلبه . ثم لقيني أحد الاحبة عقب صلاة عيد الأضحى لهذه السنة - ١٣٧١ - فسألني أيضاً عن حديث الغرانيق ، فأجبته بأنه لايصح ، بل هو باطل موضوع ، فذكر لي أن أحد الشباب ممن في قلوبهم مرض قد احتج به على أن النبي ﷺ كان - وحاشاه - يتكلم بما يرضي المشركين جذباً لهم اليه ، لأنه بزعمه الباطل لم يكن نبياً صادقاً ، وانما كان يتظاهر بذلك ترؤساً عليهم كما يهرف بذلك بعض الملاحدة قديماً وحديثاً ،

(١) أخرجه أحمد ( رقم ٣٦٤٨-٣٧٧٩-٣٨٠٢-٤٣٩٢ ) ومسلم (٨-١٣٩) عن ابن مسعود

(٢) جاء ذلك في «صحيح البخاري» ( ٣ - ٦٢ ) بشرح ابن حجر ومسلم ( ٢-٧٢ ) وغيرهما

فحملني ذلك على أن اغتنم فرصة العيد المذكور، فشرعت –متوكلا على الله الغفور– في جمع طرق تلك القصة من كتب التفسير والحديث، وبينت عللهـا متناً وسندا، ثم ذكرت قول الحافظ ابن حجر في تقويتها، تعقبته بما يبين وهي ماذهب اليه، ثم عقبت على ذلك بذكر بعض البحوث والنقول عن بعض الأئمـة الفحول ذوي التحقيق في الفـروع والاصول، تؤيد ما ذهبنا اليه من نـكارة القصة وبطلانها، ووجوب رفضها، وعدم قبولها، تصديقاً لقوله تعالى: ( لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ) الفتح : ٩، فجاءت رسالة فريدة في بابها، قوية في موضوعها، ترفع حيرة الاخ المؤمن، وتطيح بشبهة الملحد الارعن، وقد سميتها : « نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق »

أسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه، ويقبلها مني نصرة لنبيه، ويدخر لي ثوابهـا ليوم أحوج مانكون فيه الى شفاعته، ( يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ) انه هو السميع العليم، والبر الرحيم.

محمد ناصر الدين الألباني

دمشق في : ٢ - ١ - ١٣٧٢ هـ
٢١ - ٩ - ١٩٥٢ م

# بين يدي الروايات

وقبل أن أشرع في سوق روايات القصة ، أرى أنه لابد من أن نذكر كلمة تتميماً لفائدة الرسالة ، فأقول :

إن هذه القصة قد ذكرها المفسرون عند قوله تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله مايلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم . ليجعل مايلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسيةِ قلوبهم ، وإن الظالمين لفي شقاق بعيد . وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبتَ له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم ) « الحج ٥٢-٥٤ » .

وقد اختلفوا في تفسير قوله تعالى : ( تمنى ) و ( أمنيته ) وأحسن ماقيل في ذلك أن ( تمنى ) من « الأمنية » وهي التلاوة ، كما قال الشاعر في عثمان رضي الله تعالى عنه حين قتل :

تمنى كتاب الله أول ليلة ‏ ‏ ‏ ‏ وآخرها لاقى حمام المقادر

وعليه جمهور المفسرين والمحققين ، وحكاه ابن كثير عن أكثر المفسرين ، بل عزاه ابن القيم الى السلف قاطبة فقال في « إغاثة اللهفان » ( ١/٩٣ ) :

« والسلف كلهم على أن المعنى إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته » وبينه القرطبي فقال في « تفسيره » ( ١٢/٨٣ ) :

وقد قال سليمان بن حرب : إن (في) بمعنى عند أي ألقى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي ﷺ كقوله عز وجل : ( ولبثت فينا ) الشعراء : ١٨ أي عندنا ، وهذا هو معنى ماحكاه ابن عطية عن أبيه عن علماء الشرق ، واليه أشار القاضي أبو بكر بن العربي » .

قلت : وكلام أبي بكر سيأتي في محله إن شاء الله تعالى ، وهذا الذي ذكرناه من المعنى في تفسير الآية ، هو اختيار الامام ابن جرير ، حيث قال بعد مارواه عن جماعة من

السلف : ( ١٢١/١٧ ) .

« وهـــذا القول أشبه بتأويل الكلام بدلالة قوله : ( فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ) على ذلك لأن الآيات التي أخبر الله جـــل ثناؤه أنه يحكمها لاشك أنهـا آيات تنزيله ، فمعلوم بذلك أن الذي ألقى فيه الشيطان ، هو ماأخبر الله تعالى ذكره ، أنه نسخ ذلك منه وأبطله ، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه ، فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ أو حـدث وتـكلم ، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه ، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ، فينسخ الله مايلقي الشيطان بقوله تعالى : فيذهب الله مايلقي الشيطان من ذلك ، على لسـان نبيـــه ويبطله .

هذا هو المعنى المراد من هذه الآية الكريمة ، وهي كما ترى ليس فيها إلا أن الشيطـان يلقي عند تلاوة النبي ﷺ مايفتتن به الذين في قلوبهم مرض ، ولكن أعـداء الدين الذين قعدوا له في كل طريق ، وترصدوا له عند كل مرصد ، لايرضيهم إلا أن يدسوا فيه ماليس منه ، ولم يقله رسوله ، فذكروا ماستراه في الروايات الآتيـــة ، مما لايليق بمقام النبوة والرسالة ، وذلك ديدنهم منذ القديم ، كما فعلوا في غير ما آية وردت في غيره ﷺ من الأنبياء ، كداود ، وســـليمان ، ويوسف عليهم الصلاة والسلام ، فرووا في تفسيرها من الاسرائيليات مالا يجوز نسبته الى رجل مسلم ، فضلاً عن نبي مكرم . كما هـو مبين في محله من كتب التفاسير والقصص .

فحذار أيها المسلم أن تغتر بشيء منها فتكون من الهالكين ، ودع ماير يبك الى مالا يريبك كما قال نبيك ﷺ ( وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم ) .

# روايات القصة وعللها

بعد أن فرغنا من ذكر الفائدة التي وعدنا بها ، أعود إلى ذكر روايات القصة التي وقفنا عليها لـكي نسردها رواية رواية ، ونذكر عقب كل منها مافيها من علة فأقول :

١ - عن سعيدبن جبير قال : « لما نزلت هذه الآية : ( أفرأيتم اللات والعزى ) النجم:١٩ قرأها رسول الله ﷺ فقال : « تلك الغرانيق العـــلى ، وإن شفاعتهن لترجى » فسجد

رسول الله ﷺ فقال المشركون : إنه لم يذكر آلهتهم قبل اليوم بخير ، فسجدالمشركون معه ، فأنزل الله ، ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ...) الى قوله : ( عـــذاب يوم عقيم ) الحج ٥٢ ، ٥٥ ».

أخرجه ابن جرير ( ١٢٠/١٧ ) من طريقين عن شعبة عن أبي بشر عنه ، وهـــو صحيح الاسناد الى ابن جبير ، كما قال الحافظ على مايأتي عنه ، وتبعه السيوطي في « الدر المنثور » ( ٣٦٦/٤) وعزاه لابن المنذر أيضاً ، وابن مردويه بعد ماساقه نحـوه بلفظ : « القى الشيطان على لسانه : « تلك الغرانيق العلى » الحديث ، وفيه :

« ثم جاءه جبريل بعد ذلك ، قال : اعرض عليّ ماجئتك به،فلما بلغ : «تلكالغرانيق العلى ، وإن شفـاعتهن لترجى » قال جبريل لم آتك بهذا ، هذا من الشيطان ! فأنزل الله : ( وما أرسلنا منقبلكمن رسول ولا نبي ) الآية ». الحج :٥٢ وهكذا أخرجه الواحدي في « أسبابالنزول » من طريق أخرى عن سعيد بن جبير ، كما سيأتي .

وقد روي موصولاً عن سعيد ، ولايصح : رواه البزار [١] في « مسنده » عن يوسف ابن حماد عن أمية بن خالد ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبـاس فيما أحسبه الشك في الحديث ـ أن النبي ﷺ قرأ بمكة سورة ( النجم ) حتى انتهى إلى قوله : ( أفرأيتم اللات والعزى) النجم : ١٩ وذكر بقيته ، ثم قال البزار :

« لانعلمه يروى متصلاً إلا بهذا الاسناد ،تفرد بوصله أمية بنخالد وهو ثقة مشهور ، وإنما يروى هذا منطريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس» . كذا في « تفسير ابن كثير » ( ١٢٩/٣ ) .

وعزا الحافظ في « تخريجالكشاف » (١٤٤/٤) هذه الرواية « للبزار ، والطبري، والطبراني ، وابن مردويه » وعزوه للطبري سهو ، فانها ليست في تفسيره فيما علمت ، إلا إن كان يعني غير التفسير من كتبه ، وما أظن يريد ذلك ، ويؤيدني أن السيوطي في « الدر »

---

(١) قلت : وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » ( ورقة ١٦٢ وجه ٢) من نسخة خطيـــة في المكتبة الظاهرية تحت رقم ( ٢٨٣ حديث ) قال : حدثنا حسين بن اسحق التستري ، وعبدان بن أحمد ، قالا : حدثنا يوسف بن حماد المعنى به ، وفيه « ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى » . ورواه الضياء المقدسي في « المختارة » ( ق ١٢٠-١-٢ ) من طريق الطبراني وابن مردويه منطرق عن يوسف به .

عزاها لجميع هؤلاء إلا الطبري ، إلا أن السيوطي أوهم أيضاً حيث قال : عطفاً على ماذكر: والضياء في « المختارة » بسند رجاله ثقات ، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إن رسول الله ﷺ قرأ فذكر الحديث مثل الرواية المرسلة التي نقلناها آنفاً عن الدر نفسه، ومحل الايهام هو قوله : « بسند رجاله ثقات » بالاضافة إلى أنه أخرجه الضياء في « المختارة » فان ذلك يوهم أنه ليس بمعلول ، وهذا خلاف الواقع ، فانه معلول بتردد الراوي في وصله كما نقلناه آنفا عن « تفسير ابن كثير » وكذلك هو في « تخريج الكشاف » وغيره وهذا ما لم يرد ذكره في سياق السيوطي ولا أدري أذلك اختصار منه ، أم من بعض مخرجي الحديث؟[1] وأيا ما كان ، فما كان يليق بالسيوطي أن يغفل هذه العلة ، لا سيما وقد صرح بما يشعر أن الاسناد صحيح ، وفيه من التغرير ما لا يخفى ، فان الشك لا يوثق به ، ولا حقيقة فيه ، كما قال القاضي عياض في « الشفاء » ( ٢/١١٨ ) وأقره الحافظ في « التخريج » لكنه قال عقب ذلك :

« ورواه الطبري من طريق سعيد بن جبير مرسلاً ، وأخرجه ابن مردويه من طريق أبي عاصم النبيل ، عن عثمان بن الأسود ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس نحوه ، ولم يشك في وصله ، وهذا أصح طرق الحديث . قال البزار ... » .

قلت : وقد نقلنا كلام البزار آنفاً ، ثم ذكر الحافظ المراسيل الآتية ، ثم قال :

« فهذه مراسيل يقوي بعضها بعضاً » .

قلت : وفي عبارة الحافظ شيء من التشويش ، ولا أدري أذلك منه ، أم من النساخ ؟ وهو أغلب الظن ، وذلك لأن قوله : « وهذا أصح طرق هذا الحديث » إن حملناه على أقرب مذكور ، وهو طريق ابن مردويه الموصول كما هو المتبادر ، منعنا من ذلك أمور :

الأول : قول الحافظ عقب ذلك : « فهذه مراسيل يقوي بعضها بعضاً » ، فان فيه إشارة إلى أن ليس هناك إسناد صحيح موصول يعتمد عليه ، وإلا لعرج عليه وجعله أصلاً ، وجعل الطرق المرسلة شاهدة ومقوية له ، ويؤيده الأمر الآتي وهو :

---

(١) ثم رأيت السيوطي قد أورده في كتابه « اسباب النزول » على الشك في رفعه فاصاب ، فتبين ان لا مسؤولية فيه على غيره .

الثاني : وهو أن الحافظ لما رد على القاضي عياض تضعيفه للحـــديث من طريق إسناد البزار الموصول بسبب الشك ، قال الحافظ :

« أما ضعفه فلا ضعف فيه أصلاً ( قلت : يعني في رواته ) فان الجميع ثقات ، وأما الشك فيه، فقد يجيء تأثيره ولو فرداً غريباً — كذا — لكن غايته أن يصير مرسلاً ، وهو حجة عند عياض وغيره ممن يقبل مرسل الثقـة ، وهو حجة إذا اعتضد عند من يرد المرسل ، وهو إنما يعتضد بكثرة المتابعات » .

فقد سلم الحافظ بأن الحديث مرسل،ولكن ذهب الى تقويته بكثرة الطرق ،وسيأتي بيان ما فيه في ردنا عليه قريباً إن شاء الله تعالى .

فلو كان إسناد ابن مردويه الموصول صحيحاً عند الحافظ ، لرد به على القاضي عياض ، ولما جعل عمدته في الرد عليه هو كثرة الطرق ، وهذا بين لا يخفى .

الثالث : أن الحافظ في كتابه « فتح الباري » لم يشر أدنى إشـارة إلى هذه الطريق ، فلو كان هو أصح طرق الحديث ، لذكره بصريح العبارة ، ولجعله عمدته في هذا الباب كما سبق .

الرابع : أن من جاء بعده كالسيوطي وغيره ، لم يذكروا هذه الرواية ، فـكل هذه الأمور تمنعنا من حمل اسم الاشارة ( هـــذا ) على أقرب مذكور ، وتضطرنا إلى حمله على البعيد ، وهو الطريق الذي قبل هذا ، وهو طريق سعيد بن جبير المرسـل . وهو الذي اعتمده الحافظ في « الفتح » وجعله أصلاً ، وجعل الروايات الأخرى شاهدة له ، وقـــد اقتدينا نحن به،فبدأنا أولاً بذكر رواية ابن جبير هـذه ، وان كنا خالفناه في كون هذه الطرق يقوي بعضها بعضاً .

قلت : هذا مع العلم أن القـدر المذكور من إسناد ابن مردويه الموصول رجاله ثقات رجال الشيخين ، لكن لا بد أن تكون العـلة فيمن دون أبي عاصم النبيل ، ويقوي ذلك ، أعني كون إسناده معلاً أني رأيت هذه الرواية أخرجها الواحدي في « أسباب الـنزول » ( ص ٢٣٣ ) من طريق سهل العسكري قال : أخبرني يحي ( قلت : هو القطـان ) عن

عثمان بن الأسود ، عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله ﷺ ( أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ) النجم : ١٩ ، فألقى الشيطان على لسانه : « تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى » ففرح بذلك المشركون ، وقالوا : قد ذكر آلهتنا ، فجاء جبريل عليه السلام الى رسول الله ﷺ وقال : اعرض علي كلام الله ، فلما عرض عليه ، قال : أما هذا فلم آتك به ، هـــذا من الشيطان ، فانزل الله تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ) الآية». الحج : ٥٢ » .

فرجع الحديث الى أنه — عن عثمان بن الاسود عن سعيد —مرسل ، وهو الصحيح ، لموافقة رواية عثمان هذه رواية أبي بشر عن سعيد .

ثم وقفت على اسناد ابن مردويه ومتنه ، بواسطة الضياء المقدسي في « المختـــارة » ( ٦٠/٢٣٥/١ ) بسنده عنه قال : حدثني ابراهيم بن محمد : حـدثني أبو بكر محمد بن علي المقري البغدادي ثنا جعفر بن محمد الطيالسي ثنا ابراهيم بن محمدبن عرعرة ثنا أبوعاصم النبيل ثنا عثمان بن الأسود عن سعيد بن جبير عن ابن عباس :

« أن رسول الله ﷺ قرأ « أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخـرى ، تلك الغرانيق العلى ، وشفاعتهن ترتجى » . ففرح المشركون بذلك ، وقالوا : قد ذكر آلهتنا فجاءه جبريل ، فقال : إقرأ علي ماجئتك به ، قال : فقرأ « أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، تلك الغرانيق العلى ، وشفاعتهن ترتجي » ، فقال : ماأتيتك بهذا ، هذا عن الشيطان ، أوقال : هذا من الشيطان لم آتك بها ! فأنزل الله ( وما أرســـلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ) الى آخر الآية » .

قلت : وهذا اسناد رجاله كلهم ثقات وكلهم من رجال « التهذيب » ، إلا من دون ابن عرعرة ، ليس فيهم من ينبغي النظر فيه غير أبي بكر محمد بن علي المقري البغدادي ، وقد أورده الخطيب في « تاريـخ بغداد فقال ( ٣/ ٦٨ - ٦٩ ) :

« محمد بن علي بن الحسن أبو بكر المقرىء ، حدث عن محمود بن خداش ، ومحمـد بن عمرو وابن أبي مذعور . روى عنه أحمد بن كامل القاضي ومحمد بن أحمد بن يحيى العطشي» ثم ساق له حديثا واحدا وقع فيه مكنياً بـ ( أبي حرب ) ، فلا أدري أهي كنية أخرى له ،

أم تحرفت على الناسخ أو الطابع ، ثم حكى الخطيب عن المطشي أنه قال : « توفي سنة ثلاثمائة » ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، فهو مجهول الحال ، وهو علة هذا الاسناد الموصول ، وهو غير أبي بكر محمد بن ابراهيم بن علي بن عاصم الأصبهاني المشهور بابن المقرىء ، الحافظ الثقة ، فانه متأخر عن هذا نحو قرن من الزمان ، وهو من شيوخ ابن مردويه مات سنة ( ٣٨١ )احدى وثمانين وثلاثمائة ، ووقع في التذكرة » ( ٣/١٧٢ ) « ومائتين » وهو خطأ .

فثبت مما تقدم صواب ما كنا جزمنا به قبل الاطلاع على اسناد ابن مردويه « أن العلة فيه فيمن دون أبي عاصم النبيل » ، وازددنا تأكداً من أن الصواب عن عثمان بن الاسود إنما هو عن سعيد بن جبير مرسلاً كما رواه الواحدي ، خلافاً لرواية ابن مردويه عنه .

وبالجملة ، فالحديث مرسل ، ولا يصح عن سعيد بن جبير موصولاً بوجه من الوجوه .

٢ ـــ عن ابن شهاب : حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث « أن رسول الله ﷺ وهو بمكة قرأ عليهم : ( والنجم اذا هوى ) النجم : ١ ، فلما بلغ ( أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ) النجم : ١٩ ، ٢٠ ، قال : « إن شفاعتهن ترتجى » سها رسول الله ﷺ ، فلقيه المشركون الذين في قلوبهم مرض فسلموا عليه وفرحوا بذلك ، فقال لهم : إنما ذلك من الشيطان ، فأنزل الله : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي - حتى بلغ - فينسخ الله ما يلقي الشيطان ) الحج : ٥٢ » .

رواه ابن جرير ( ١٧/ ١٢١ ) وإسناده الى أبي بكر بن عبد الرحمن صحيح ، كما قال السيوطي تبعاً للحافظ ، لكن علته أنه مرسل (١) وعزاه السيوطي لعبد بن حميد أيضاً ، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : فذكره مطولاً ، ولم يذكر في إسناده أبا بكر بن عبد الرحمن ، فهو مرسل ، بل معضل ، ولفظه كما في « ابن كثير » و « الدر » :

---

( ١ ) وقال النحاس : « هذا حديث منقطع ، وفيه هذا الامر العظيم » ذكره القرطبي ( ١٢ - ٨١ ) .

« لما أنزلت سورة ( النجم ) ، وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير ، أقررناه وأصحابه ، ولكن لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر ، وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم ، وأحزنته ضلالتهم ، فكان يتمنى كف أذاهم ، (وفي « ابن كثير » هدايتهم) ، فلما انزل الله سورة « والنجم » قال : ( أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى) النجم : ١٩ ، ٢٠ ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الطواغيت ، فقال : « وإنهن لهن الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى » فكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة ، ودلقت بها ألسنتهم ، وتباشروا بها ، وقالوا : إن محمداً قد رجع الى دينه الاول ودين قومه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر ( النجم ) سجد وسجد كل من حضر من مسلم ومشرك ، ففشت تلك الكلمة في الناس ، وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ، فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ) الآية الحج : ٥٢ ، فلما بين الله قضاءه ، وبرأه من سجع الشيطان ، انقلب المشركون بضلالتهم وعدوانهم المسلمين ، واشتدوا عليه » .(١)

وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » عن موسى بن عقبة ساقه من « مغازيه » بنحوه لم يذكر ابن شهاب كما في « الدر » (٣٦٧/٤) وغيره .

٣ — عن أبي العالية قال : « قالت قريش لرسول الله ﷺ إنما جلساؤك عبيد بني فلان، ومولى بني فلان ، فلو ذكرت آلهتنا بشيء جالسناك ، فانه يأتيك أشراف العرب ، فاذا رأوا جلساءك أشراف قومك كان أرغب لهم فيك ، قال : فألقى الشيطان في أمنيته ، فنزلت هذه الآية : ( أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ) النجم : ١٩ ، ٢٠ ، قال : فأجرى الشيطان على لسانه : « تلك الغرانيق العلى ، وشفاعتهن ترتجى ، مثلهن لا ينسى » قال : فسجد النبي ﷺ حين قرأها وسجد معه المسلمون والمشركون ، فلما علم

---

( ١ ) هذا سياق « الدر » وهو مختصر عن سياق « ابن كثير » ومما فيه : فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين ، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي القى الشيطان في مسامع المشركين » .

الذي أجري على لسانه ، كبر ذلك عليه ، فأنزل الله : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي .. ) الى قوله : ( والله عليم حكيم ) » . الحج : ٥٢ .

أخرجه الطبري ( ١٧/١٢٠ ) من طريقين عن داوود بن أبي هند عنه ، وإسناده صحيح إلى أبي العالية ، لكن علته الارسال ، وكذلك رواه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

٤ — عن محمد بن كعب القرظي ، ومحمد بن قيس قالا :

« جلس رسول الله ﷺ في ناد من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه ، فأنزل الله عليه : ( والنجم إذا هوى ، ماضل صاحبكم وما غوى ) فقرأها رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ : ( أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ) النجم : ١٩ ، ٢٠ ألقى عليه الشيطان كلمتين : « تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى » فتكلم بها ثم مضى ، فقرأ السورة كلها ، فسجد في آخر السورة ، وسجد القوم جميعاً معه ، ورفع الوليد ابن المغيرة ترابا الى جبهته فسجد عليه ، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود ، فرضوا بما تكلم به ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ، وهو الذي يخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، اذا جعلت لها نصيباً فنحن معك ، قالا : فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال : ما جئتك بهاتين ! فقال رسول الله ﷺ : افتريت على الله ، وقلت ما لم يقل ، فأوحى الله اليه : ( وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره ) الى قوله : ( ثم لا تجد لك علينا نصيراً ) الاسراء : ٧٣-٧٥ ، فما زال مغموماً مهموماً حتى نزلت عليه : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى .. ) الحج : ٥٢ ، قال : فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، فرجعوا الى عشائرهم وقالوا : هو أحب الينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان » .

أخرجه ابن جرير ( ١٧/١١٩ ) عن طريق أبي معشر عنهما ، وابو معشر ضعيف ، كما قال الحافظ في « التقريب » واسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي .

ثم أخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن زياد المدني عن محمد بن كعب القرظي وحده به أتم منه ، وفيه :

« فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ، وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له ، والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاء به عن ربهم ، ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل ، الحديث »

ويزيد هـذا ثقة ، لكن الراوي عنه ابن اسحق مدلس ، وقد عنعنه .

٥ – عن قتادة أن النبي ﷺ كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهـة المشركين ، فألقى الشيطان في أمنيته فقال : « ان الآلهة التي تدعى ، إن شفاعتهن لترتجى ، وإنهـا للغرانيق العلي » فنسخ الله ذلك ، وأحكم الله آياته : (أفرأيتم اللات والعزى ...) حتى بلغ (من سلطان) النجم : ١٩–٢٣ ، قال قتادة . لما ألقى الشيطان ما ألقى ، قال المشركون : قد ذكر الله آلهتهم بخير ، ففرحوا بذلك ، فذكر قوله : (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) » الحج : ٥٣ .

اخرجه ابن جرير (١٧/١٢٢) من طريقين عن معمر عنه ، وهو صحيح الى قتادة ، ولكنه مرسل أو معضل . وقد رواه ابن ابي حاتم كما في « الدر » بلفظ أتم منه ، وهو :

« قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي عند المقام ، نعس ، فألقى الشيطان على لسانه كلمة فتكلم بها ، وتعلق بها المشركون عليه ، فقال : (أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى) النجم : ١٩ ، ٢٠ ، فألقى الشيطان على لسانه ولغى : « وان شفاعتهن لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى » فحفظها المشركون ، وأخبرهم الشيطان أن نبي الله ﷺ قد قرأها ، فذلت بها ألسنتهم ، فأنزل الله : (وما أرسلنا من قبلك من نبي) الآية الحج : ٥٢ ، فدحر الله الشيطان ولقن نبيه حجته » .

٦ – عن عروة – يعني ابن الزبير – في تسمية الذين أخرجوا الى أرض الحبشة المرة الأولى (قلت وفيه : ) « فقال المشركون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنـا بخير ، أقررناه وأصحابه ، فانه لا يذكر أحداً ممن خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر به آلهتنا من الشتم والشر ، فلما أنزل الله السـورة التي يذكر فيها : (والنجم) وقرأ : (أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى) النجم : ١٩ ، ٢٠ ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت ، فقال : « وإنهم من الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى »

وذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك وذلت بها ألسنتهم ، واستبشروا بها ، وقالوا : إن محمداً قد رجع الى دينه الأول ودين قومه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة التي فيها ( النجم ) سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم ومشرك ، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً كبيراً ، فرفع ملء كفه تراباً فسجد عليه ، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله ﷺ ، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين ، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان على ألسنة المشركين ـ وأما المشركون فاطمأنت انفسهم إلى النبي ﷺ وحدثهم الشيطان أن النبي ﷺ قد قرأها في ( السجدة ) ، فسجدوا لتعظيم آلهتهم ، ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة .. فكبر ذلك على رسول الله ﷺ فلما أمسى أتاه جبريل وقال : معاذ الله من هاتين ، ماأنزلها ربي ، ولاأمرني بها ربك !! فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ شق عليه ، وقال :

أطعت الشيطان ، وتكلمت بكلامه وشركني في أمر الله ، فنسخ الله ماألقى الشيطان ، وأنزل عليه : ( وماأرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ) إلى قوله : ( لفي شقاق بعيد ) الحج ٥٢،٥٣ . فلما برأه الله عز وجل من سجع الشيطان وفتنته انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم » .

رواه الطبراني هكذا مرسلاً ، كما في « المجمع » ( ٦/٣٢-٣٤و٧/٧٠-٧٢ ) (١) . وقال :

« فيه ابن لهيعة ، ولايحتمل هذا من ابن لهيعة » .

٧ ـ عن أبي صالح قال : « قام رسول الله ﷺ فقال المشركون : إن ذكر آلهتنا بخير ذكرنا إلهه بخير ، فألقي في أمنيته : ( أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ) النجم : ١٩،٢٠ ، « إنهن لفي الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى » قال : فأنزل الله ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي .. ) الآية» الحج : ٥٢ .

(١) ثم وقفت عليه في « معجمه الكبير » ج ٣ ورقة ٢ وجه ٢ من النسخة الخطية الظاهرية تحت رقم ٢٨٣ وسنده هكذا : حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني : نا ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة به.

أخرجه عبد بن حميد كما في « الدر » ( ٣٦٦/٤ من طريق السدي عنه ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن السدي لم يجاوزه بلفظ :

«قال : خرج النبي ﷺ الى المسجد ليصلي فبينما هو يقرأ ، إذ قال : ( أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ) النجم ١٩، ٢٠ فألقى الشيطان على لسانه فقال : « تلك الغرانقة العلى ، وإن شفاعتهن لترجى » حتى إذا بلغ آخر السورة سجد وسجد أصحابه ، وسجد المشركون لذكر آلهتهم فلما رفع رأسه حملوه فاشتدوا به قطري مكة يقولون : نبي بني عبد مناف ، حتى إذا جاء جبريل عرض عليه فقرأ ذينك الحرفين ، فقال جبريل : معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا ! فاشتد عليه ، فأنزل الله يطيب نفسه : ( وما أرسلنا من قبلك ... ) الآية ». الحج : ٥٢

قلت : وقد روي موصولاً عن ابن عباس أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . وهذا اسناد ضعيف جداً ، بل موضوع ، فقد قال سفيان : « قال لي الكلبي : كل ماحدثتك عن أبي صالح فهو كذب » ، والكلبي هذا اسمه محمد بن السائب ، وقد كان مفسراً نسّابة أخبارياً . وقال ابن حبان : كان الكلبي سبائياً من اولئك الذين يقولون : إن علياً لم يمت وإنه راجع الى الدنيا ، ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً ، وإن رأوا سحابة قالوا : أمير المؤمنين فيها » قال : ومذهبه في الدين ، ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج الى الاغراق في وصفه ، يروي عن ابي صالح عن ابن عباس التفسير ، وأبو صالح لم ير ابن عباس ولاسمع الكلبي من ابي صالح إلا الحرف بعد الحرف ، لايحل ذكره في الكتب ، فكيف الاحتجاج به ؟! (١)

وروي من وجوه أخرى عن ابن عباس سيأتي ذكرها ، ولايصح شيء منها .

---

٨ - عن الضحاك قال : في قوله ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ) الآية الحج ٥٢ : فان نبي الله ﷺ وهو بمكة أنزل الله عليه في آلهة العرب ، فجعل يتلو اللات والعزى ، ويكثر ترديدها ، فسمع أهل مكة النبي ﷺ يذكر آلهتهم ، ففرحوا بذلك ، ودنوا يستمعون ، فألقى الشيطان في تلاوة النبي ﷺ : « تلك الغرانيق العلى ، ومنها

---

(١) نقلته من « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » للامام الذهبي

الشفاعة ترجى » فقرأها النبي ﷺ كذلك ، فأنزل الله عليه : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ) الى : ( والله عليم حكيم ) الحج : ٥٢ .

أخرجه ابن جرير ( ١٧/١٢١ ) قال : حدثت عن الحسين قال : سمعت معاذاً يقول : أخبرنا عبيد قال : سمعت الضحاك يقول :

قلت : وهذا اسناد ضعيف منقطع مرسل ، الضحاك هذا الظاهر أنه ابن مزاحم الهلالي الخراساني ، وهو كثير الارسال ، كما قال الحافـظ ، حتى قيل : إنه لم يثبت له سماع من أحد من الصحابة ، والراوي عنه عبيد لم أعرفه [1] ، وابو معاذ الظاهر أنه سليمان بن أرقم البصري ، وهو ضعيف ، كما في « التقريب » ، والراوي عنه الحسين هو ابن الفرج أبو علي وقيل : أبو صالح ، ويعرف بابن الخياط والبغدادي ، وهو ضعيف متروك ، وله ترجمـة في « تاريـخ بغـــداد » وفي « الميزان » و « اللســان » ثم شيخ ابن جرير فيـــه مجهول لم يسم .

٩ ـ عن محمد بن فضالة الظفري ، والمطلب بن عبدالله بن حنطب قالا : « رأى رسول الله ﷺ من قومه كفاً عنه ، فجلس خالياً ، فتمنى فقال : ليته لا ينزل علي شيء ينفـرهم عني ، وقارب رسول الله ﷺ قومه ، ودنا منهم ، ودنوا منه ، فجلس يوماً مجلساً في ناد من تلك الأندية حول الكعبة ، فقرأ عليهم ( والنجم اذا هوى ) النجم : ١ حتى إذا بلغ : ( أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ) النجم : ١٩ ، ٢٠ ألقى الشيطان كلمتين على لسانه : « تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى » ، فتـكلم رسول الله ﷺ بها ثم مضى ، فقرأ السورة كلها ، وسجد وسجد القوم جميعاً ، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً الى جبهته فسجد عليه ، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود ، ويقال : إن أبا أحيحة سعيد ابن العاص أخذ تراباً فسجد عليه رفعـــه الى جبهته ، وكان شيخاً كبيراً ، فبعض الناس يقول : إنما الذي رفع التراب الوليد ، وبعضهم يقول : أبو أحيحة ، وبعضهم يقول : كلاهما

---

(١) ثم تبين لي أنه ابن سليمان الباهلي ، وروى عن الضحاك بن مزاحم ، وعنه جمع ، منهم أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي . قال في « التقريب » : لا بأس به . ومما ذكرنا تبين أيضاً أن أبا معاذ الراوي عن عبيد ، ليس هو سليمان بن أرقم ، وانما هو الفضل بن خالد النحوي اورده ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » ( ٣ / ٢ / ٦١ ) ولم يذكر فيه جرحاً وتعديلا .

جميعاً فعلا ذلك . فرضوا بما تكلم به رسول الله ﷺ وقالوا : قد عرفنا أن الله يحي ويميت ، ويخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، وأما إن جعلت لها نصيباً فنحن معك ، فكبر ذلك على رسول الله ﷺ من قولهم ، حتى جلس في البيت ، فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام ، فعرض عليه السورة فقال جبريل : جئتك [1] بهاتين الكلمتين ؟!! فقال رسول الله ﷺ : قلت على الله مالم يقل ، فأوحى الله اليه : ( وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذاً لاتخذوك خليلاً . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً ، واذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً ) الاسراء : ٧٣-٧٥ .

اخرجه ابن سعد في « الطبقات » ( ج١ ق١ ص١٣٧ ) : اخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني يونس بن محمد بن فضالة الظفري عن ابيه ، قال : وحدثني كثير بن زيد عن المطلب ابن عبد الله بن حنطب قالا :

قلت : وهذا اسناد ضعيف جداً ، لأن محمد بن عمر ، هو الواقدي ، قال الحافظ في « التقريب » : « متروك مع سعة علمه » وشيخه في الاسناد الاول يونس بن محمد ، ووالده محمد بن فضاله ، لم أجد لهما ترجمة ، ثم رأيت ابن أبي حاتم اوردها ( ٤/١/٥٥ر٤/٢/٢٤٦ ) ولم يذكر فيهما جرحاً ولا تعديلا . وفي اسناده الثاني كثير بن زيد وهو الاسلمي المدني مختلف فيه ، قال الحافظ : « صدوق يخطىء » .

ثم هو مرسل فان المطلب بن عبد الله بن حنطب كثير التدليس والارسال ، كما في « التقريب » . ولذلك قال القرطبي بعد أن ساق الرواية الثانية ، وحكي عن النحاس تضعيفها كما سبق نقله عنه هناك قال : قلت : فذكره مختصراً ثم قال :

«قال النحاس : هذا حديث منكر منقطع ، ولاسيما من حديث الواقدي».

١٠ — عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ سورة ( النجم ) وهو بمكة ، فأتى على هذه الآية ( أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ) النجم : ١٩ - ٢٠ فألقى الشيطان على لسانه « إنهن الغرانيق العلى » فأنزل الله : ( ومارسلنا من قبلك ..) الآية

---

(١) كذا في الاصل وهو جائز على الاستفهام الانكاري ، وفي القرطبي نقلا عن الواحدي «ما جئتك»

الحج ٥٢ ، وكذا أورده السيوطي في « الدر المنثور » ( ٤/٢٦٧ ) وقال :

« أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ، ومن طريق أبي بكر الهذلي وأيوب عن عكرمة عن ابن عباس ، ومن طريق سليمان التيمي عمن حدثه عن ابن عباس » .

قلت فهذه طرق ثلاث عن ابن عباس وكلها ضعيفة .

أما الطريق الأولى : ففيها الكلبي وهو كذاب كما تقدم بيانه قريباً .

وأماالطريق الثانية : ففيها من لم يسم .

وأماالطريق الثالثة : ففيها أبو بكر الهذلي . قال الحافظ في « التقريب » : « أخباري متروك الحديث » لكن قد قرن فيها ايوب ، والظاهر أنه السختياني ، فلابد أن يكون في الطريق اليه من لايحتج به ، لأن الحافظ قال في « الفتح » ( ٨/٣٥٥ ) بعد أن ساقه من الطرق الثلاث :

« وكلها ضعيف أو منقطع » .

وقد ذكر مايفيد أن ابن مردويه اخرجها من طريق عباد بن صهيب ، وهو أحد المتروكين ، كما قال الحافظ الذهبي في ترجمته من « الميزان » .

وله طريق رابع ، اخرجه ابن جرير ( ١٧/١٢٠ ) ، حدثني محمد بن سعد قال : ثني أبي قال : ثنى عمي : ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس . « أن نبي الله ﷺ بينما هو يصلي إذ نزلت عليه قصة آلهة العرب ، فجعل يتلوها ، فسمعه المشركون ، فقالوا : إنا نسمعه يذكر آلهتنا بخير ، فدنوا منه ، فبينما هو يقول : ( أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الاخرى ) النجم :١٩، ٢٠ ، القى الشيطان : « إن تلك الغرانيق العلى ،منهاالشفاعةترتجى» ، فجعل يتلوها ، فنزل جبريل ﷺ فنسخها ، ثم قال له : ( ومماارسلنا من قبلك .. ) الآية الحج : ٥٢ .

رواه ابن مردويه أيضاً كما في « الدر » ( ٤/٣٦٦ ) .

قلت : وهذا اسناد ضعيف جداً ، مسلسل بالضعفاء : محمد بن سعد ، هو ابن محمد بن الحسن بن عطية بن جنادة أبو جعفرالعوفي ترجمه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/٣٢٢ - ٣٢٣ )وقال : « كان ليناً في الحديث » .

ووالده سعد بن محمد ترجمه الخطيب أيضاً (٩/١٢٦-١٢٧) وروى عن احمد أنه قال فيه : « لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه ، ولا كان موضعاً لذلك » .

وعمه هو الحسين بن الحسن بن عطيه بن سعد ، وهو متفق على ضعفه ترجمه الخطيب (٨/٢٩-٣٢) وغيره .

وأبوه الحسن بن عطيه ضعيف أيضاً اتفاقاً ، وقدأورده ابن حبان في« الضعفاء » وقال : « منكر الحديث ، فلا أدري البلية منه أو من ابنه ، أو منهما معاً ؟»ترجمته في « تهذيب التهذيب » .

وكذا والده عطيه،وهو مشهور بالضعف (١) .

# بيان بطلان القصة متنا

تلك هي روايات القصة ، وهي كلها كما رأيت معلة بالارسال والضعف والجهالة ، فليس فيها مايصلح للاحتجاج به ، لاسيما في مثل هذا الأمر الخطير . ثم إن مما يؤكد ضعفها بل بطلانها ، مافيها من الاختلاف والنكارة مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة ،واليك البيان :

أولا : في الروايات كلها ، أو جلها ، أن الشيطان تكلم على لسان النبي ﷺ بتلك الجملة الباطلة التي تمدح أصنام المشركين ، « تلك الغرانيق العلى ،وان شفاعتهن لترتجى » .

ثانياً : وفي بعضها كالرواية الرابعة« والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاء به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأ وهم » ففي هذا أن المؤمنين سمعوا ذلك منه ﷺ ، ولم يشعروا بأنه من القاء الشيطان ، بل اعتقدوا أنه من وحي الرحمن !! بينما تقول الرواية السادسة «ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقي الشيطان » فهذه خلاف تلك .

ثالثاً : وفي بعضها كالرواية ( ١و٤و٧و٩ ) : أن النبي ﷺ بقي مدة لا يدري ان

---

(١) قلت : ومما يدل على بطلان نسبة هذه القصة الى ابن عباس ، لاسيما من رواية أيوب عن عكرمة عنه ، أن الطبراني أخرجها مختصراً في « المعجم الكبير » ( ورقة١٣٨ وجه ١) من طريقين عن عبد الوارث : ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي ( ص ) سجد وهو بمكة بـ ( النجم ) وسجد معه المسلمون والمشركون ، وهذا اسناد صحيح على شرط البخاري ، فهذا القدر من القصة هو الصحيح عن ابن عباس وغيره من الصحابة مما سيأتي ذكره .

ذلك من الشيطان ، حتى قال له جبريل : « معاذ الله ! لم آتك بهذا ، هذا من الشيطان !! »

رابعاً : وفي الرواية الثانية أنه ﷺ سهي حتى قال ذلك ! فلو كان كذلك ، أفلا ينتبه من سهوه ؟!

خامساً : في الرواية العاشرة الطريق الرابع : أن ذلك ألقي عليه وهو يصلي !!

سادساً : وفي الرواية ( ٤و٥و٩ ) أنه ﷺ تمنى أن لاينزل عليه شيء من الوحي يعيب آلهة المشركين ، لئلا ينفروا عنه !! وانظر المقام الرابع من كلام ابن العربي الآتي ( ص ٢٧ ) .

سابعاً : وفي الرواية ( ٤و٦و٩ ) أنه ﷺ قال عندما أنكر جبريل ذلك عليه : « افتريت على الله ، وقلت على الله مالم يقل ، وشركني الشيطان في أمر الله !! » .

فهذه طامات يجب تنزيه الرسول منها لاسيما هذا الأخير منها فانه لو كان صحيحاً لصدق فيه ، عليه الصلاة والسلام ، ـ وحاشاه ـ قوله تعالى : ( ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ) الآية الحاقة : ٤٤-٤٦ .

فثبت مما تقدم بطلان هذه القصة سنداً ومتناً . والحمد لله على توفيقه وهدايته .

# كلام الحافظ والرد عليه

وقد يقال : ان ماذهبت اليه من تضعيف القصة سنداً ، وابطالها متناً ، يخالف ماذهب اليه الحافظ ابن حجر من تقويتها كما سبقت الاشارة اليه آنفاً .

فالجواب : أنه لاضير علينا منه ، ولئن كنا خالفناه ، فقد وافقنا جماعة من أئمة الحديث والعلم سيأتي ذكرهم ، فاتباعهم أولى ، لأن النقد العلمي معهم ، لا لأنهم كثرة ، ورحم الله من قال : « الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف الرجال » .

ولبيان ذلك لا بد لي من أن أنقل كلام الحافظ بتمامه ، ثم أتبعه ببيان رأينا فيه ، والصواب الذي نرمي اليه فأقول : قال الحافظ في « الفتح » ( ٨/٣٥٤-٣٥٥ ) بعد أن ساق الرواية الاولى وخرجها هي وغيرها مما تقدم :

« وكلها سوى طريق سعيد بن جبير ، إما ضعيف وإما منقطع ، ولكن كثرة الطرق

تدل على أن للقصة أصلاً ، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالها على شرط «الصحيحين» (ثم ذكر الرواية الثانية والثالثة ثم قال : ) وقد تجرأ أبو بكر بن العربي كعادته فقال : ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها ، وهو اطلاق مردود عليه ، وكذا قول عياض : هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته ، واضطراب رواياته ، وانقطاع اسناده ، وكذا قوله : ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين ، لم يسندها أحد منهم ، ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم ، قال : ولم ينقل ذلك انتهى . وجميع ذلك لا يتمشى مع القواعد ، فان الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها ، دل ذلك على أن لها أصلاً ، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل ، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض » .

## قاعدة تقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على اطلاقها

والجواب عن ذلك من وجوه :

أولاً : أن القاعدة التي أشار اليها ، وهي تقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على اطلاقها ، وقد نبه على ذلك غير واحد من علماء الحديث المحققين ، منهم الحافظ أبو عمرو بن الصلاح حيث قال رحمه الله في « مقدمة علوم الحديث » ( ص ٣٦ - ٣٧ ) :

« لعل الباحث الفهم يقول : إنا نجد أحاديث محكوماً بضعفها ، مع كونها قد رويت بأسانيد كثيرة من وجوه عديدة ، مثل حديث : « الأذنان من الرأس » [1] ونحوه ، فهلا جعلتم ذلك وأمثاله من نوع الحسن لأن بعض ذلك عضد بعضاً كما قلتم في نوع الحسن على ماسبق آنفاً ؟!

وجواب ذلك أنه ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه ، بل ذلك يتفاوت

---

( ١ ) قلت : هذا الحديث عندنا صحيح لغيره ، فقد روي عن سبعة نفر من الصحابة من طرق مختلفة قوى المنذري ، وابن دقيق العيد ، وابن التركماني ، والزيلعي أحدها ، ولذلك أوردناه في كتابنا « صحيح سنن أبي داود » وتكلمنا عليه هناك ( رقم ١٢٣ ) ثم نشرناه في « سلسلة الاحاديث الصحيحة » (رقم ٣٦) ، وذكرنا فيه طرقه وبعضها صحيح لذاته ، فراجعه إن شئت .

فمنه مايزيله ذلك بأن يكون ضعفه ناشئاً من ضعف حفظ راويه ، ولم يختل فيـــه ضبطه له ، وكذلك اذا كان ضعفه من حيث الارسال زال بنحو ذلك ، كما في المرسل الذي يرسله إمام حافظ ، إذ فيه ضعف قليل يزول بروايته من وجه آخر [١] ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف ، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته ، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهما بالكذب ، أو كون الحديث شاذاً . وهذه جمـــلة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث ، فاعلم ذلك فانه من النفائس العزيزة » .

قلت : ولقد صدق رحمه الله تعالى ، فان الغفلة عن هذه النفسية قد أوقعت كثيراً من العلماء ، لاسيما المشتغلين منهم بالفقه في خطأ فاضح ، ألا وهو تصحيح كثير من الأحاديث الضعيفة اغتراراً بكثرة طرقها ، وذهولاً منهم عن كون ضعفها من النوع الذي لا ينجـــبر الحديث بضعفها ، بل لا تزيده إلا وهناً على وهن ، ومن هذا القبيل حـديث ابن عباس في هذه القصة ، فان طرقه كلها ضعيفة جداً كما تقدم ، فلا يتقوى بها أصلاً .

لكن يبقى النظر في طرق الحديث الأخرى ، هل يتقوى الحديث بها ، أم لا ؟

فاعلم أنها كلها مرسلة ، وهي على إرسالها معلة بالضعف والجهالة كما سبق تفصيلها ، سوى الطرق الأربعة الأولى منها ( رقم ١و٢و٣و٥ ) فهي التي تستحق النظر ، لأن الحافظ رحمه الله جعلها عمدته في تصحيحه هذه القصة ، وتقويته لها بها ، وهـذا مما نخالفه فيه ، ولا نوافقه عليه ، وبيان ذلك يحتاج الى مقدمة وجيزة مفيدة إن شاء الله تعالى ، وهي :

## ضعف الحديث المرسل

الوجه الثاني : وهو يحتوي على تحقيق أمرين أساسيين :

الأول : أن الحديث المرسل ، ولو كان المرسل ثقة ، لا يحتج به عند ائمة الحديث ، كما بينه ابن الصلاح في « علوم الحديث » وجزم هو به فقال ( ص ٥٨ ) :

« ثم اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف ، إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر كما سبق بيانه ... وماذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحـكم بضعفه ، هـو

---

(١) قلت : وهذا ليس على اطلاقه كما يأتي نقله عن شرح النخبة لابن حجر ( ص ٢٣ )

المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث ، ونقاد الأثر ، وقد تداولوه في تصانيفهم » .

الأمر الثاني : معرفة سبب عدم احتجاج المحدثين بالمرسل من الحديث ، فاعلم أن سبب ذلك إنما هو جهالة الواسطة التي روى عنها المرسل الحديث ، وقد بين ذلك الخطيب البغدادي في « الكفاية في علم الرواية » حيث قال ( ص ٢٨٧ ) بعد أن حكى الخلاف في العمل بالمرسل :

« والذي نختاره سقوط فرض العمل بالمراسيل ، وأن المرسل غير مقبول ، والذي يدل على ذلك أن إرسال الحديث يؤدي إلى الجهل بعين راويه ، ويستحيل العلم بعدالته مع الجهل بعينه ، وقد بينا من قبل أنه لا يجوز قبول الخبر إلا ممن عرفت عدالته ، فوجب كذلك كونه غير مقبول ، وأيضاً فان العدل لو سئل عمن ارسل عنه ؟ فلم يعدله ، لم يجب العمل بخبره ، اذا لم يكن معروف العدالة من جهة غيره ، وكذلك حاله اذا ابتدأ الامساك عن ذكره وتعديله ، لأنه مع الامساك عن ذكره غير معدل له ، فوجب أن لا يقبل الخبر عنه ».

وقال الحافظ ابن حجر في « شرح نخبة الفكر » ( ص ١٧ ) بعد أن ذكر الحديث المرسل في « أنواع الحديث المردود » :

« وإنما ذكر في قسم المردود للجهل بحال المحذوف ، لأنه يحتمل أن يكون صحابياً ، ويحتمل أن يكون تابعياً ، وعلى الثاني يحتمل أن يكون ضعيفاً ، ويحتمل أن يكون ثقة ، وعلى الثاني يحتمل أن يكون حمل عن صحابي ، ويحتمل أن يكون حمل عن تابعي آخر وعلى الثاني فيعود الاحتمال السابق ويتعدد ، أما بالتجويز العقلي ، فالى مالا نهاية ، وأما بالاستقراء ، فالى ستة أو سبعة ، وهو اكثر ماوجد من رواية بعض التابعين عن بعض ، فان عرف من عادة التابعي أنه لا يرسل إلا عن ثقة ، فذهب جمهور المحدثين الى التوقف ، لبقاء الاحتمال . ، وهو أحد قولي أحمد ، وثانيها : يقبل مطلقاً ، وقال الشافعي رضي الله عنه يقبل إن اعتضد بمجيئه من وجه آخر يباين الطريق الاولى مسنداً كان أو مرسلاً ليترجح احتمال كون المحذوف ثقة في نفس الأمر».

قلت : فاذا عرف أن الحديث المرسل لا يقبل ، وأن السبب هو الجهل بحال المحـذوف فيرد عليه أن القول بأنه يقوى بمرسل آخر غير قوي لاحتمال أن يكون كل من أرسله إنما أخذه عن راو واحد ، وحينئذ ترد الاحتمالات التي ذكرها الحافظ ، وكأن الامام الشافعي رحمه الله تعالى قد لاحظ ورود هذا الاحتمال وقوته ، فاشترط في المرسل الآخر أن يكون مرسله أخذ العلم عن غير رجال التابعي الأول ، كما حكاه ابن الصلاح ( ص ٣٥ ) وكأن ذلك ليغلب على الظن أن المحذوف في أحد المرسلين هو غيره في المرسل الآخر .

وهذه فائدة دقيقة لم أجدها في غير كلام الشافعي رحمه الله فاحفظها وراعها فيما يمر بك من المرسلات التي يذهب البعض الى تقويتها لمجرد مجيئها من وجهين مرسلين دون أن يراعوا هذا الشرط المهم .

ثم رأيت شيخ الاسلام ابن تيمية قد نص أيضاً على هذا الشرط في كلام له مفيـــد في أصول التفسير ، نقله عنه الحافظ محمد بن عبد الهادي في كتاب له مخطـوط في الأحاديث الضعيفة والموضوعة ( حديث ٤٠٥ / ٢٢١ ) ، فقال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« وأما أسباب النزول ، فغالبها مرسل ، ليس بمسند ، ولهذا قال الامام احمـد : ثلاث علوم لا إسناد لها . وفي لفظ : ليس لها اصل : التفسير والمغازي والملاحم . يعني أن أحاديثها مرسلة ، ليست مسندة .

والمراسيل قد تنازع الناس في قبولها وردها . وأصح الأقوال : أن منها القبول ، ومنها المردود ، ومنها الموقوف ، فمن علم من حاله أنه لا يرسل إلا عن ثقة قبل مرسله ، ومن عرف أنه يرسل عن الثقة وغير الثقة ، كان ارساله رواية عمن لا يعرف حاله ، فهو موقوف . وما كان من المراسيل مخالفاً لما رواه الثقات ، كان مردودا ، وإن جاء المرسل من وجهين ، كل من الراويين أخذ العلم عن غير شيوخ الآخر ، فهذا يدل على صدقه فان مثل ذلك لا يتصور في العادة تماثل الخطأ فيه وتعمد الكذب .. »

قلت : ومع أن التحقق من وجود هذا الشرط في كل مرسل من هـذا النوع ، ليس بالأمر الهين ، فانه لو تحققنا من وجوده ، فقد يرد إشكال آخر ، وهـــو أنه يحتمل أن يكون كل من الواسطتين أو أكثر ضعيفاً ، وعليـــه يحتمل أن يكون ضعفهم من النوع

الأول الذي ينجبر بمثله الحديث على ماسبق نقله عن ابن الصلاح ، ويحتمل أن يكون من النوع الآخر الذي لا يقوى الحديث بكثرة طرقه ، ومع ورود هـــذه الاحتمالات يسقط الاستدلال بالحديث المرسل وإن تعددت طرقه . وهذا التحقيق مما لم أجد من سبقني اليه ، فان أصبت فمن الله تعالى وله الشكر ، وإن أخطأت فمن نفسي ، واستغفر الله من ذنبي .

وبالجملة فالمانع من الاستدلال بالحديث المرسل الذي تعدد مرسلوه أحد الاحتمالين :

الأول : أن يكون مصدر المرسلين واحداً .

الثاني : أن يكونوا جمعاً ، ولكنهم جميعاً ضعفاء ضعفاً شديداً . وبعد هـــذه المقدمة نستطيع أن نقول :

إننا لو ألقينا النظر على روايات هذه القصة ، لألفيناها كلها مرسلة ، حاشا حديث ابن عباس ، ولكن طرقه كلها واهية شديدة الضعف لا تنجبر بها تلك المراسيل ، فيبقى النظر في هذه المراسيل ، وهي كما علمت سبعة ، صح إسناد أربعة منها ، وهي مرسل سعيد بن جبير ، وابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وأبي العاليه ( رقم ١-٣ ) ، ومرسل قتادة ، رقم ( ٥ ) وهي مراسيل يرد عليها أحد الاحتمالين السابقين ، لأنهم من طبقة واحدة : فوفاة سعيد بن جبير سنة ( ٩٥ ) وأبي بكر بن عبد الرحمن سنة (٩٤) ، وأبي العالية ـ واسمه رفيع مصغراً ـ سنة ( ٩٠ ) وقتادة سنة بضع عشرة ومائة ، والأول كوفي ، والثـــاني مدني ، والأخيران بصريان .

فجائز أن يكون مصدرهم الذي أخذوا منه هذه القصة ورووها عنه ، واحداً لا غير ، وهو مجهول .

وجائز أن يكون جمعاً ، ولكنهم ضعفاء جميعاً ، فمع هذه الاحتمالات لا يمكن أن تطمئن النفس لقبول حديثهم هذا ، لاسيما في مثل هذا الحدث العظيم الذي يمس المقام الكريم ، فلا جرم تتابع العلماء على انكارها ، بل التنديد ببطلانها ، ولا وجه لذلك من جهة الرواية إلا ما ذكرنا ، وإن كنت لم أقف على من صرح بذلك كما ذكرت آنفاً . قال الفخر الرازي في « تفسيره » ( ٦/١٩٣ ) :

« روي عن محمد بن اسحق بن خزيمة [1] أنه سئل عن هذه القصة ؟ فقال : « هذا من وضع الزنادقة » ، وصنف فيه كتاباً . وقال الامام ابو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : « هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل » ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم ، وأيضاً : فقد روى البخاري في « صحيحه » أن النبي ﷺ قرأ سورة (النجم) وسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون ، والانس والجن ، وليس فيه حديث الغرانيق وروى هذا الحديث من طرق كثيرة ، وليس فيها البتة حديث الغرانيق .

وقد تبع هؤلاء جماعة من الأئمة العلماء ، وهاك أسماءهم على ترتيب وفياتهم :

١ - أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي توفي سنة ( ٥٤٢ ) ، في تفسيره « أحكام القرآن » .

٢ - القاضي عياض بن موسى بن عياض ( ٥٤٤ ) في كتابه « الشفا في حقوق المصطفى » .

٣ - فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي ( ٦٠٦ ) في تفسيره « مفاتيح الغيب » ( ٦/١٩٣ - ١٩٧ ) وقد مضى بعض كلامه في ذلك .

٤ - محمد بن أحمد الانصاري أبو عبد الله القرطبي في « احكام القرآن » ( ١٢/٨٠ - ٨٤ ) .

٥ - محمد بن يوسف بن علي الكرماني من شراح « البخاري » ( ٧٨٦ ) ، وقد نقل كلامه في ذلك الحافظ في « الفتح » ( ٨/٤٩٨ ) .

٦ - محمود بن أحمد بدر الدين العيني ( ٨٥٥ ) في « عمدة القاري » ( ٩/٤٧ ) .

---

(١) هو الامام ابن خزيمة صاحب « الصحيح » المعروف به ، وقد تبع الفخر في عزو هذا الكلام لابن خزيمة المحقق الشوكاني في « فتح القدير » (٣-٤٤٧) . وأما ابن حيان فعزاه في تفسيره « البحر » لمحمد بن اسحق جامع « السيرة النبوية » . وتبعه الآلوسي في تفسيره ( ١٧-١٦١ ).والارجح عندي الاول لان الحافظ ابن حجر ذكر في « الفتح » ( ٨-٣٥٤ ) تبعاً لابن كثير أن ابن اسحق روى هذه القصة في « السيرة » مطولا ، فهذا يبعد نسبة ذلك القول اليه ، ولو كان له لنبه عليه الحافظ عقب ذلك والله أعلم .

٧ - محمد بن علي بن محمد اليمني الشوكاني ( ١٢٥٠ ) في « فتح القدير » (٣/٢٤٧-٢٤٨) .

٨ - السيد محمود أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي ( ١٢٧٠ ) في « روح المعاني » (١٧/١٦٠-١٦٩) .

٩ - صديق حسن خان أبو الطيب ( ١٣٠٧ ) في تفسيره « فتح البيان » .

١٠ - محمد عبده المصري الأستاذ الامام ( ١٣٢٣ ) في رساله خاصة له في هذه القصة .

وإذا عرفت هذا فلابأس من ذكر كلمات بعض هؤلاء العلماء ، لما فيها من الفوائد والتحقيقات التي تزيد القارىء إيماناً ببطلان القصة ، وتجعله يتبين أن النقد العلمي الرجيح يتفق دائما مع النقد الحديثي الصحيح ، لأن كلاً منهما يقوم على قواعد علمية دقيقة لاتقبل التغيير والتبديل، وأنا أكتفي هنا بكلمات أربعة منهم. ومن شاء الزيادة فليرجع الى المصادر الأخرى التي اشرنا اليها، ولأربعتهم : ١ - ابن العربي ٢ - القاضي عياض ٣- الشوكاني ٤ - الألوسي .

### ١ - كلام أبي بكر بن العربي في ابطال القصة

قال رحمه الله تعالى بعد أن ذكر سبب نزول آية الحج التي ذكرناها في أول الرسالة ملخصاً من الروايات التي أوردناها :

« اعلموا أنار الله أفئدتكم بنور هداه ، ويسر لكم مقصد التوحيد ومغزاه ، أن الهدى هدى الله ، فسبحان من يتفضل به على من يشاء ويصرفه عمن يشاء ، وقد بينا معنى هذه الآية في « فضل تنبيه الغبي على مقدار النبي » بما نرجو به عند الله الجزاء الأوفى في مقام الزلفى ، ونحن الآن نجلو بتلك الفصول الغماء ، ونرقيكم بها عن حضيض الدهماء الى بقاع العلماء في عشر مقامات .

**المقام الاول** : أن النبي ﷺ إذا أرسل الله اليه الملك بوحيه ، فانه يخلق له العلم به حتى يتحقق أنه رسول من عنده ، ولولا ذلك لماصحت الرسالة ، ولا تبينت النبوة ، فاذاخلق الله له العلم به تميز عنده من غيره ، وثبت اليقين ، واستقام سبيل الدين ، ولو كان النبي إذا شافهه الملك بالوحي لا يدري ، أملك هو ، أم شيطان ، أم انسان ، أم صورة مخالفة لهذه الأجناس ألقت عليه كلاماً وبلغت إليه قولاً لم يصح أن يقول : إنه من عند الله ، ولا ثبت

عندنا أنه أمر الله ، فهذه سبيل متيقنة ، وحالة متحققة لا بد منها ، ولا خـــلاف في المنقول ولا في المعقول فيها ، ولو جاز للشيطان أن يتمثل فيها ، أو يتشبه بها ماأمناه على آية ، ولا عرفنا منه باطلاً من حقيقة ، فارتفع بهذا الفصل اللبس ، وصح اليقين في النفس .

**المقام الثاني** : أن الله قد عصم رسوله من الكفر ، وأمنه من الشرك ، واستقر ذلك من دين المسلمين باجماعهم فيه وإطباقهم عليه ، فمن ادعى أنه يجوز عليـــه أن يكفر بالله ، او يشك فيه طرفة عين ، فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ، بل لاتجوز عليـه المعاصي في الأفعال ، فضلاً عن أن ينسب الى الكفر في الاعتقاد ، بل هو المنزه عن ذلك فعلاً واعتقاداً ، وقد مهدنا ذلك في كتب الاصول بأوضح دليل .

**المقام الثالث** : أن الله قد عـــرف رسوله بنفسه وبصره بأدلته ، وأراه ملكوت سماواته وأرضه ، وعرفه سنن من كان قبله من اخوته فلم يكن يخفى عليه من أمـــر الله مانعرفه اليوم ، ونحن حثالة أمته ، ومن خطر له ذلك فهو ممن يمشي مكباً على وجهه ، غير عارف بنبيه ولا بربه .

**المقام الرابع** : تأملوا فتح الله أغلاق النظر عنكم الى قـــول الرواة الذين هم بجهلهم أعداء على الاسلام ممن صرح بعداوته أن النبي ﷺ لما جلس مع قريش تمنى أن لا ينزل عليه من الله وحي(١) فكيف يجوز لمن معه أدنى مسكة أن يخطر بباله أن النبي ﷺ آثر وصل قومـه على وصل ربه ، وأراد أن لا يقطع أنسه بهم بما ينزل عليه من عند ربه من الوحي الذي كان حياة جسده وقلبه ، وأنس وحشته وغاية امنيته ، وكان رســـول الله ﷺ أجـــود الناس ، فاذا جاءه جبريل ، كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، فيؤثر على هذا مجالسته للاعداء ؟!

**المقام الخامس** : أن قول الشيطان : «تلك الغرانقة العلى ، وان شفاعتهن لترتجى» للنبي ﷺ قبله منه ، فالتبس عليه الشيطان بالملك ، واختلط عليـــه التوحيد بالكفر ، حتى لم يفرق بينهما ، وأنا من أدنى المؤمنين مـــنزلة ، واقلهم معرفة بما وفقني الله له ، وآتاني من علمه لا يخفى علي وعليكم أن هذا كفر لايجوز وروده من عند الله ، ولو قاله أحـــد لكم لتبادر الكل اليه قبل التفكير بالانكار والردع والتثريب والتشنيع ، فضلاً عن أن يجهل

---

(١) انظر السبب السادس من أسباب بطلان القصة متنا ص ١٩

النبي ﷺ حال القول ، ويخفى عليه قوله ولا يتفطن لصفة الأصنام بأنها «الغرانقة العلى وأن شفاعتهن ترتجى » وقد علم علماً ضروريا أنها جمادات لاتسمع ولاتبصر ، ولاتنطق ولاتضر ، ولاتنفع ولاتنصر ولاتشفع ، بهذا كله كان يأتيه جبريل الصباح والمساء ، وعليه انبنى التوحيد ، ولايجوز نسخه من جهة المنقول ، فكيف يخفى هذا على الرسول ؟! ثم لم يكف هذا حتى قالوا : إن جبريل عليه السلام لما عاد اليه بعد ذلك ليعارضه فيما ألقي اليه من الوحي كررها عليه جاهلاً بها ـ تعالى الله عن ذلك ـ فحينئذ أنكرها عليه جبريل ، وقال له : « ماجئتك بهذه ! » فحزن النبي ﷺ وأنزل عليه : ( وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره ) الاسراء : ٧٣ فيالله والمتعلمين والعالمين من شيخ فاسد موسوس هامد لايعلم أن هذه الآية نافية لمازعموا ، مبطلة لما رووا وتقولوا . وهو :

**المقام السادس** : وذلك أن قول العربي « كاد يكون كذا » معناه قارب ولم يكن . فأخبر الله في هذه الآية أنهم قاربوا أن يفتنوه عن الذي أوحي اليه ، ولم تكن فتنة ، ثم قال : ( لتفتري علينا غيره ) الاسراء : ٧٣ وهو :

**المقام السابع** : ولم يفتر ، ولو فتنوك وافتريت لاتخذوك خليلاً ، فلم تفتتن ولا افتريت ولااتخذوك خليلاً ، ( ولولا أن ثبتناك ) الاسراء : ٧٤ وهو :

**المقام الثامن** : ( لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً ) ، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه ثبته ، وقرر التوحيد والمعرفة في قلبه ، وضرب عليه سرادق العصمة ، وآواه في في كنف الحرمة ، ولو وكله إلى نفسه ، ورفع عنه ظل عصمته لحظة ، لألممت بما راموه ولكنا أمرنا عليك المحافظة ، وأشرقنا بنور الهداية فؤادك ، فاستبصر وأزاح عنك الباطل ودحر ، فهذه الآية نص في عصمته من كل مانسب اليه ، فكيف يتأولها أحد عدوا (١) عما نسب اليه من الباطل اليه ؟!

**المقام التاسع** : قوله : « فمازال مغموماً مهموماً حتى نزلت عليه : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ) الآية » الحج : ٥٢ (٢) فأما غمه وحزنه ، فبأنه

---

(١) كذا في الاصل .

(٢) انظر الرواية ٣ ـ ٤ ـ ٦

تمكن الشيطان مما تمكن مما يأتي بيانه ، وكان النبي ﷺ يعز عليه أن ينال الشيطان شيئاً وإن قل تأثيره .

**المقام العاشر** : ان هذه الآية نص في غرضنا ، دليل على صحة مذهبنا ، أصل في براءة النبي ﷺ مما نسب اليه أنه قاله عندنا ، وذلك أنه قال تعالى : ( وماأرسلنا من قبلك من رسول ولانبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته )[1] الحج : ٥٢ فأخبر الله تعالى ان من سنته في رسله ، وسيرته في أنبيائه ، انهم اذا قالوا عن الله قولا ، زاد الشيطان فيه من قبل نفسه ، كما يفعل سائر المعاصي ، كما تقول : ألقيت في الدار كذا ، وألقيت في العِكم[2] كذا ، والقيت في الكيس كذا ، فهذا نص في أن الشيطان زاد في الذي قاله النبي ﷺ ، لا أن النبي ﷺ قاله ، وذلك أن النبي ﷺ كان إذا قرأ تلا قرآنا مقطّعاً ، وسكت في مقاطع الآي سكوتاً محصلاً ، وكذلك كان حديثه مترسلاً فيه ، متأنياً ، فتبع الشيطان تلك السكتات التي بين قوله:( ومناة الثالثة الأخرى )النجم : ٢٠ وبين قوله تعالى ( ألكم الذكر وله الأنثى ) النجم : ٢١ ، فقال يحاكي صوت النبي ﷺ : « وإنهن الغرانقة العلى وإن شفاعتهن لترتجى » ، فأما المشركون ، والذين في قلوبهم مرض لقلة البصيرة وفساد السريرة ، فتلوها عن النبي ﷺ ، ونسبوها بجهلهم اليه ، حتى سجدوا معه اعتقاداً أنه معهم ، وعلم الذين أوتوا العلم والايمان أن القرآن حق من عند الله ، فيؤمنون به ، ويرفضون غيره ، وتجيب قلوبهم الى الحق ، وتنفر عن الباطل ، وكل ذلك إبتلاء من الله ، ومحنة ، فأين هذا من قولهم ؟! وليس في القرآن إلا غاية البيان بصيانة النبي ﷺ في الاسرار والاعلان ، عن الشك والكفران ، وقد أودعنا اليكم توصية أن تجعلوا القرآن ، إمامكم ، وحروفه أمامكم ، فلا تحملوا عليها ماليس فيها ، ولاتربطوا بها ماليس منها ، وماهدي لهذا إلا الطبري بجلالة قدره وصفاء فكره ، وسعة باعه في العلم ، وشدة ساعده وذراعه في النظر ، وكأنه أشار الى هذا الغرض ، وصوب على هذا المرمى فقرطس بعد ماذكر في ذلك روايات كثيرة باطلة لاأصل لها ، ولو شاء ربك لما رواها أحد ، ولا سطرها ،

---

(١) الاصل (التلاوتـه)

(٢) بكسر العين : العدل

ولكنه فعال لما يريد ، عصمنا الله وإياكم بالتوفيق والتسديد ، وجعلنا من أهل التوحيد بفضله ورحمته » .

## ٢ - كلام القاضي عياض في ذلك

وقال القاضي عياض :

«فاعلم أكرمك الله : أن لنا في الكلام على مشكل الحديث مأخذين :

أحدهما في توهين أصله ، والثاني على تسليمه .

أما المأخذ الأول ، فيكفيك ان هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند متصل سليم ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ، وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقله ، واضطراب رواياته ، وانقطاع إسناده واختلاف كلماته . فقائل يقول : إنه في الصلاة ، وآخر يقول : قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة ، وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة ، وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه ، وان النبي ﷺ لما عرضها على جبريل قال : ماهكذا أقرأتك ؟! وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ قرأها ، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك ، قال : والله ماهكذا أنزلت . الى غير ذلك من اختلاف الرواة ، ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ، ولا رفعها الى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية ، والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب - الشك في الحديث - أن النبي ﷺ كان بمكة ، وذكر القصة . وقال أبو بكر البزار : « هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ باسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس » .

فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف مانبه عليه مع وقوع الشك فيه - كما ذكرناه - الذي لا يوثق به

ولا حقيقة معه . وأما حديث الكلبي فمما لاتجوز الرواية عنه ، ولاذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار ، والذي منه في « الصحيح » ( أن النبي ﷺ قرأ : ( والنجم ) وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس » هذا توهينه من طريق النقل .

فأما من جهة المعنى : فقد قامت الحجة ، وأجمعت الامة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة ، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر ، أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ماليس منه ، ويعتقد النبي ﷺ أن من القرآن ماليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام ، وذلك كله ممتنع في حقه ﷺ أو يقول ذلك النبي ﷺ من قبل نفسه عمداً ، وذلك كفر ، أو سهو ، وهو معصوم من هذا كله ، وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته ﷺ من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لاعمداً ولا سهوا ، وان يشتبه عليه مايلقيه الملك بما يلقي الشيطان ، أويكون للشيطان عليه سبيل ، أو يتقول على الله لاعمداً ولاسهواً مالم ينزل عليه ، وقد قال تعالى : ( ولو تقول علينا بعض الأقاويل ) الآية الحاقة : ٧٤ ، وقال ( إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ) الآية الاسراء : ٧٥ .

ووجه ثان : وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً ، وذلك أن هذا الكلام لوكان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبي ﷺ ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك ، وهذا لايخفى على أدنى متأمل ، فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ؟

ووجه ثالث : أنه قد علم من عادة المنافقين ، ومعاندة المشركين ، وضعفة القلوب ، والجهلة من المسلمين ، نفورهم لأول وهلة ، وتخليط العدو على النبي ﷺ لأقل فتنة ، وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة ، وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الاسلام لأدني شبهة ، ولم يحك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة ، كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء ، حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة . كذلك ماروي في

قصة القضية ، ولافتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ، ولا تشغيب المعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت ، فما روي عن معاند فيها كلمة ، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة ، فدل على بطلها واجتثاث أصلها . ولاشك في إدخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على مغفلي المحدثين ، يلبس به على ضعفاء المسلمين .

ووجه رابع : ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت : ( وإن كادوا ليفتنونك ) الآيتين : الاسراء : ٧٣-٧٤ . وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه ، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا ليفتنونه حتى يفترى ، وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن اليهم ، فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى قد عصمه من أن يفترى ، وثبته حتى لم يركن اليهم قليلاً ، فكيف كثيراً ؟ وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون الافتراء بمدح آلهتهم ، وأنه قال ﷺ : « افتريت على الله ، وقلت مالم يقل » وهذا ضد مفهوم الآية ، وهي تضعف الحديث لوصح فكيف ولا صحة له ؟ وهذا مثل قوله تعالى في الآية الاخرى : ( ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم ومايضرونك من شيء ) النساء : ١١٣ . وقد روي عن ابن عباس : « كل مافي القرآن « كاد » فهو مالا يكون » .

قال القاضي : ولقد طالبته قريش وثقيف إذا مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه اليها ،ووعدوه الايمان به إن فعل ، فما فعل ولا كاد أن يضل ، وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر ، ماذكرناه من نص الله على عصمة رسوله برد سفاسفها ، فلم يبق في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار ، وراموا من فتنته ، ومرادنا في ذلك تنزيهه وعصمته ﷺ وهو مفهوم الآية .

وأما المأخذ الثاني : فهو مبني على تسليم الحديث لو صح أعاذنا الله من صحته ، ولكن مع كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة بأجوبة منها الغث والسمين » .

قلت : فذكر هذه الأجوبة ، وضعفها جلها أو كلها ، إلا الأخير منها ، فانه استظهره ورجحه ، وهو الذي أجاب به ابن العربي فيما تقدم من كلامه (ص٢٩) :

إن الشيطان هو الذي ألقى ذلك في سكتة النبي ﷺ بين الآيتين ، محاكياً نغمة

النبي ﷺ وأشاع ذلك المشركون عنه ﷺ ،ولم يقدح ذلك عندالمسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ماأنزلها الله ، وتحققهم من حال النبي ﷺ في ذم الأوثان وعيبهـا على ماعرف منه ، وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال : « ان المسلمين لم يسمعوها ، وإنما ألقى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم » (١) ويكون ماروى من حزن النبي ﷺ لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة .

## رد الحافـــظ على ابن العربي والقاضي عياض وتعقبنـــا عليه

وأما قول الحافظ في « الفتح » بعد أن نقل خلاصة عن الوجوه التي تقدمت عن الامامين المذكورين في اعلال القصة وتوهينها :

«وجميع ذلك لايتمشى على القواعد، فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجهـا ، دل ذلك على أن لها أصلاً ، وقد ذكرت ان ثلاثة أسانيد منها على شـــرط الصحيح ، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل ، وكذا من لايحتج به لاعتضاد بعضها ببعض ».

فأقول : إن هذا الجواب ليس بالقوي على إطلاقه لما بينا فيما تقدم أن تقوية الحـــديث بكثرة الطرق ليس قاعدة مضطردة ، نعم من ذهب الى الاحتجاج بالمرسل مطلقاً أو عند اعتضاده ، في الجواب رد قوي عليه ، كالقاضي عياض وغيره ممن يقبل مرسل الثقـة (٢) أما نحن فهو غير وارد علينا لما أوردنا من الاحتمالات التي تمنع الاحتجاج بالحديث المرسل ولو من غير وجه ، ولعل هـــذا هو مذهب الحافظ ابن كثير حيث قال عند تفسيره الآية السابقة ( ٣/٢٢٩ ) :

« قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغـــرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة الى أرض الحبشة ، ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح » .

---

(١) قلت : ونحوه في رواية عروة ( رقم ٦ ص١٢-١٣ ) ، وان كان في آخرها مايخالف هذا وقد نقلت رواية موسى بن عقبة عن ابن كثير فيما تقدم ( ص١٠ ) .

(٢) تخريج الكشاف ( ٤/١١٢ ) .

فان ابن كثير يعلم أن بعض هذه المراسيل التي أشار اليها أسـانيدها صحيحة الى مرسلها ، فلوكان بعضها يعضد بعضاً عنده وتقوى القصة بذلك ، لما ضعفها بحجة أنه لم يرها مسندة من وجه صحيح وهذا بين لايخفى .

ثم إن من الغريب أن الحافظ ابن حجر مع ذهابه الى تقوية القصة يرى أن فيهامايستنكر وأنه يجب تأويله فيقول بعد كلامه الذي نقلته آنفاً :

«واذا تقرر ذلك تعيَّن تأويل ماوقع فيها مما يستنكر وهو قوله ، :« ألقى الشيطان على لسـانه : « تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى » فان ذلك لايجوز حمله على ظاهره لانه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمـداً منه ، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته » .

ثم ذكر الحافظ مسالك العلماء في تأويل ذلك ، ثم اعتمد على الوجـه الاخير منها . وهو الذي نقلناه عن القاضي عياض قبيل هذا الفصل ، وقلنا إنه رجحه ، ثم قال الحافظ :

« وهـذا أحسن الوجوه ، ويؤيده ماتقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير تمنى بـ ( تلا ) » .

فينتج من ذلك أن الحافظ رحمه الله ، قد سلم أن الشيطان لم يتكلم على لسان النبي ﷺ بتلك الجملة ، وإنما القاها الشيطان بلسانه في سكتة النبي ﷺ ، فهذا لا يتفق البتة مع القول بصحة القصة ، أو أن لها أصلاً ، فان كان يريد بذلك أن لها أصلاً في الجملة ، أعني بدون هذه الزيادة ، فهذا ليس هو موضع خلاف بينه وبين العلمـاء الذين رد عليهم قولهم ببطلان القصة ، وانما الخلاف في هذه الجملة التي تزعم الروايات أن الشيطان القاها على لسانه ﷺ فاذ قد صرح الحافظ بانـكارها وتنزيه النبي ﷺ عنها فنستطيع أن نقول لحضرة السائل :

إن الحافظ متفق مع ابن كثير ـ وغيره ممن سبقه ولحقه ـ على إنـكار القصة على ماوردت في الروايات حتى التي صححها الحافظ ، وأما مابقي منهـا مما لايتنافى مع عصمة النبي ﷺ ، فلا خلاف في إمكان وقوعها ، بل الظاهر أن هذا القدر هو الذي وقع بدليل ظاهر آية الحج حسبما تقدم تفسيرها في أوائل الرسالة . (١)

---

(١) وبعد كتابة ماتقدم رأيت شيخ الاسلام ابن تيمية يميل الى تثبيت القصة بالقدر المذكور، وان قوله : « تلك الغرانيق العلى .. » لم يلفظ به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما القاه الشيطان في أسماعهم . راجع كلامه في الفتاوى ( ٢٨٢/٢ ) .

نعم يرد على الحافظ هنا اعتراضان :

الأول : تليينه العبارة في انكار تلك الزيادة، لانه إنما أنكرها بطريق تأويلها ! وحقه أن ينكرها من أصلها ، لأن التأويل الذي زعمه ليست تفيده تلك الزيادة أصـــلاً ، لأن الحافظ يقول :

« إن الشيطان هو الذي ألقى بلسانه في سكتة النبي ﷺ » . وهي تقول : «ان الشيطان ألقى على لسان النبي ﷺ » فأين هذا من ذلك ؟!

الثاني : تشنيعه القول على ابن العربي والقاضي عياض لانكارهما القصة ، مع أنه يعلم أنهما أنكراها لما فيها من البواطيل التي لا تتفق مع القول بعصمة الرسول الكريم ، منها هـــذه الزيادة التي وافقهما الحافظ على اســـتنكارها ، مع فارق شكلي وهو أنهما كانا صريحين في إنكارها من أساسها ، بينما الحافظ إنما أنكرها بطريق تأويلها - زعم - .

ومن هنا يتبين لك ضعف ماقاله في رده على القاضي في « تخريج الكشاف »

« وأما طعنه فيه باختلاف الألفاظ فلا تأثير للروايات الواهية في الرواية القوية ، فيعتمد من القصة على الرواية الصحيحة ، أي : يعتمد على الرواية المتابعة ، وليس فيها وفيما تابعهـــا اضطراب والاضطراب في غيرها ، وأما طعنه من جهة المعنى فله أسوة كثيرة من الاحاديث الصحاح التي لا يؤخذ بظاهرها ، بل يرد بالتأويل المعتمد الى مايليق بقواعد الدين » .

قلت : إن هذا الرد ضعيف ، لأن الرواية الصحيحة التي أشار اليها هي رواية ابن جبير المتقدمة وفيها كما في غيرها من الروايات المتابعة الأمر المستنكر باعترافـــه ، بل في بعض الروايات عن سعيد ماهو أنكر من ذلك وهو قوله :

« ثم جاءه جبريل بعد ذلك فقال : عرض علي ماجئتك به ، فلما بلغ « تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى » قال له جبريل : لم آتك بهذا ، هذا من الشيطان !! » وقد جاء هذا في غير رواية سعيد كما تقدم ، ولازمه أن النبي ﷺ قد انطلى عليه وحي الشيطان واختلط عنده بوحي الرحمن ، حتى لم يميز بينهما ، وبقي على هذه الحالة مابقي ، إلى أن جاءه جبريل في المساء ! سبحانك هذا بهتان عظيم وافتراء جسيم .

فاتضح أن ليس هنالك رواية معتمدة صحيحة بالمعنى العلمي الصحيح ، وأن الرواية التي صححها الحافظ قد أنكر بعضها هو نفسه فأين الاعتماد .

وأما قوله : « إن حديث الغرانيق له أسوة بكثير من الأحاديث الصحيحة » ، فصحيح لو صح إسناده وأمكن تأويله ، وكلا الامرين لا نسلم به . أما الأول فلما علمت من ارساله من جميع الوجوه حاشا مااشتد ضعفه من الموصول ، وانها على كثرتها لا تعضده . وأما الامر الآخر فلأن التأويل الذي ذهب اليه الحافظ رحمه الله هو في الحقيقة ليس تأويلاً ، بل هو تعطيل لحقيقة الجملة المستنكرة ، وهو أشبه مايكون بتأويلات بل تعطيلات القرامطة والرافضة للآيات القرآنية والاحاديث المصطفوية . تأييداً لمذاهبهم الهدامة وآرائهم الباطلة ، خلافاً للحافظ رحمه الله فانه إنما فعل ذلك دفاعاً عن مقام الحضرة النبوية والعصمة المحمدية ، فهو مشكور على ذلك ومأجور ، وان كان مخطئاً عندنا في ذلك التأويل مع تصحيح القصة .

### ٣ ـ كلام الشوكاني

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى :

« ولم يصح شيء من هذا ، ولا يثبت بوجه من الوجوه ، ومع عدم صحته ، بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه » . ثم ذكر بعض الآيات الدالة على البطلان ثم قال :

« وقال امام الأئمة ابن خزيمة ، إن هذه القصة من وضع الزنادقة » .

### ٤ ـ كلام الآلوسي في ابطال القصة

وعلى كل حال فان الحافظ ابن حجر رحمه الله متفق مع الذين أنكروا القصة على تنزيهه ﷺ من أن يكون للشيطان تكلم على لسانه عليه الصلاة والسلام ، فالخلاف بينه وبينهم يكاد يكون شكلياً أو لفظياً ، وانما الخلاف الحقيقي بينهم وبين بعض المتأخرين (١) حيث ذهب

(١) هو الشيخ ابراهيم الكوراني كما صرح بذلك الالوسي وهو ابراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي ولد بـ ( شهرزور ) في شوال ( ١٠٢٥ هـ ) وقدم المدينة ولازم القشاشي واجتمع في مصر عند مروره بها مع الشهاب الخفاجي . توفي بالمدينة في ٢٨ جمادى الاولى سنة ( ١١٠١ هـ ) كذا في « تاج العروس » للمناوي .

الى تصحيح القصة مع التسليم بها دون استنكار أي شيءمنها ، أوتأويل ما! بل جوز على النبي ﷺ جميع مافيها زاعماً أنذلك لايتنافى مع عصمته ، بل هو تأديب له ! في كلام له طويل. يغني وضوح بطلانه عن إيراده وتسويد الصفحات لرده، وقد نقله الآلوسي برمته، ثم رده عليه في كلام متين ، ولولا أن هذه العجالة لم توضع لهذه الغاية ، لسقته بتمامه فاختصر من ذلك على قوله في خاتمة بحثه :

«لكن إثبات صحة الخبر أشد من خرط القتاد ، فان الطاعنين فيه من حيث النقل علماء أجلاء ، عارفون بالغث والسمين من الأخبار ، وقد بذلوا الوسع في تحقيق الحق فيه فلم يرووه إلا مردوداً ، وهم أكثر ممن قال بقبوله ، ومنهم من هو أعلم منه ، ويغلب على الظن أنهم وقفوا على رواته في سائر الطرق فرأوهم مجروحين ، وفات ذلك القائل بالقبول (١) ، ولعمري إن القول بأن هذا الخبر مما القاه الشيطان على بعض ألسنة الرواة ، ثم وفق الله تعالى جمعا من خاصته لابطاله ، أهون من القول بأن حديث الغرانيق مما ألقاه الشيطان على لسان رسول الله ﷺ ثم نسخه سبحانه وتعالى ، ولاسيما وهو مما لم يتوقف على صحته أمر ديني ، ولامعنى آية ، ولاسوى أنها يتوقف عليها حصول شبه في قلوب كثير من ضعفاء المؤمنين لاتكاد تدفع الا بجهد جهيد » .

وهذا آخر الكلام في تحقيق بطلان قصة الغرانيق .

وقد بقي علينا التعرض لذكر فائدة سبقت مناسبتها وهي سجود المشركين مع النبي ﷺ عند قراءة سورة ( النجم ) وهي تضمن بيان سبب ذلك فأقول :

## سبب سجود المشركين مع النبي ﷺ

رب سائل يقول : إذا ثبت بطلان القاء الشيطان على لسانه عليه الصلاة والسلام

---

(١) قلت : هذا فيه بعد لاسيا بالنسبة للحافظ ابن حجر ، فلو كان هناك جرح فلا يخفى عليه ، والحق أن الحافظ جرى على بعض القواعد الحديثة فهو أعذر ممن خالفها ولم يجب عنها ، وقد أجبنا نحن فيا سبق فالاقرب أن يقال : إنهم وقفوا على علة وهي الارسال حسبا فصلنا في سائر الطرق ولكن لم يرها علة قادحة القائل بالقبول .

جملة « تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى » فلم إذن سجد المشركون معه ﷺ وليس ذلك من عادتهم ؟

والجواب ماقاله المحقق الالوسي بعد سطور من كلامه الذي نقلته آنفاً :

« وليس لأحد أن يقول : ان سجود المشركين يدل على انه كان في السورة ماظاهره مدح آلهتهم ، وإلا لما سجدوا ، لأننا نقول : يجوز أن يكونوا سجدوا لدهشة اصابتهم وخوف اعتراهم عند سماع السورة لما فيها من قوله تعالى : ( وأنه اهلك عاداً الأولى ، وثمود فما أبقى . وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى . والمؤتفكة أهوى ، فغشاها ماغشى ) الى آخر الآيات النجم : ٥٠ - ٥٤ . ، فاستشعروا نزول مثل ذلك بهم ، ولعلهم لم يسمعوا قبل ذلك مثلها منه ﷺ ، وهو قائم بين يدي ربه سبحانه في مقام خطير وجمع كثير ، وقد ظنوا من ترتيب الأمر بالسجود على ماتقدم أن سجودهم ولو لم يكن عن إيمان ، كافٍ في دفع ماتوهموه ، ولاتستبعد خوفهم من سماع مثل ذلك منه ﷺ ، فقد نزلت سورة ( حم السجدة ) بعد ذلك كما جاء مصرحاً به في حديث عن ابن عباس . ذكره السيوطي في أول « الاتقان » فلما سمع عتبة بن ربيعة قوله تعالى فيها : ( فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ) ! أمسك على فم رسول الله ﷺ ، وناشده الرحم واعتذر لقومه حين ظنوا به أنه صبأ وقال : « كيف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ؟ فخفت أن ينزل بكم العذاب » وقد أخرج ذلك البيهقي في « الدلائل » وابن عساكر في حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

ويمكن أن يقال على بعد : إن سجودهم كان لاستشعار مدح آلهتهم، ولا يلزم منه ثبوت ذلك الخبر ، لجواز أن يكون ذلك الاستشعار من قوله تعالى : ( أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ) النجم : ١٩ ، ٢٠ . بناء على أن المفعول محذوف وقدروه حسبما يشتهون ، أو على أن المفعول : ( ألكم الذكر وله الانثى ) النجم : ٢١ . وتوهموا أن مصب الانكار فيه كون المذكورات إناثاً ، والحب للشيء يعمي ويصم ، وليس هذا بأبعد من حملهم « تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى » على المدح حتى سجدوا لذلك

آخر السورة ، مع وقوعه بين ذمين المانع من حمله على المدح في البين كما لايخفى على من سلمت عين قلبه من الغين» .

« وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » .

محمد ناصر الدين الألباني

انتهى تبييض هذه الرسالة صباح يوم الاثنين الواقع في ٧/٣/٧٢ هـ — ٢٣/١١/٥٢ م
أسأل الله تعالى أن يفيد بها السائل وسائر المسلمين ويجعلها خالصة لوجهه الكريم .



# الفهرست

صفحة

صفحة



★ ★ ★